الدور التحرّريّ للاستشارة التربويّة النفسيّة لدى الفلسطينيّين في أراضي 48

أحلام رحّال

أيّار 2026

مدى الكرمل
علم النفس التحرّري
Liberation Psychology

برنامج علم النفس التحرّري

الدور التحرّريّ للاستشارة التربويّة النفسيّة لدى الفلسطينيّين في أراضي 48

أحلام رحّال

أكاديميّة ومعالِجة نفسيّة، أستاذة مساعِدة في قسمَيِ الاستشارة النفسيّة والتربية، ومديرة برنامج الدكتوراة في التربية في جامعة أكاديا في كندا

تحرير: إيناس عودة- حاج؛ د. كميليا إبراهيم- دويري

أيّار 2026

حقوق النشر محفوظة 2025

مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ملخَّص

الهدف من هذا المقال هو إعادة بناء مفهوم الاستشارة التربويّة- النفسيّة وبلورته من جديد ليأخذ طابعًا تحرُّريًّا ونقديًّا يتماشى مع سياقات العنف السياسيّ والنفسيّ والاضطهاد المستمرّ والعابر للأجيال. سيقدّم المقال أدوات عمل للمستشارين التربويّين- النفسيّين، ولا سيّما الفلسطينيّين في إسرائيل، لأداء أدوار قياديّة وتحريريّة تجاه طلبتهم والمجتمع. تهتمّ الاستشارة التربويّة- النفسيّة في تطوير الطلبة عاطفيًّا، عمليًّا، وتعليميًّا، وتربط بين الطلبة والمعلّمين والمجتمع. كمعظم المهن الاجتماعيّة، تعتمد الاستشارة على القِيَم الأوروبيّة– الأمريكيّة، كالفردانيّة والاستقلاليّة والمركزيّة الذاتيّة على سبيل المثال، دون الالتفات إلى الظروف أو السياقات التاريخيّة والسياسيّة- الاجتماعيّة التي تؤثّر على المجتمع والفرد وعلى صحّته النفسيّة. يؤدّي تجاهل هذه الظروف إلى عدم فَهْم جذور المشكلة وتأثيرها على الإنسان، وهو ما يسفر عن تشخيص خاطئ لاحتياجاته ومَواطن قوّته؛ وبالتالي قد يصبح المستشار/ة أداة اضطهاد أخرى على الطلبة مُرسِّخًا/ مرسِّخة القهر المُمارَس عليهم/نّ. ورغم أهمّيّة "الحياد" في الاستشارة التربويّة- النفسيّة، فإنّ هذه المهنة غير محايدة بطبيعتها. ففي إسرائيل -على سبيل المثال- تتبنّى التدخُّلات الاستشاريّة الرسميّة/ السائدة الأيديولوجيّةَ الصهيونيّةَ والهُويّةَ الإسرائيليّةَ، وتهمّش المجتمعَ الفلسطينيّ واحتياجاته وروايته.

على ضوء الظروف التاريخيّة والراهنة من الترهيب الجماعيّ والقمع المستمرّ أمام وحشيّة المجازر الإسرائيليّة، ومع السياسات القمعيّة في المدارس الفلسطينيّة داخل إسرائيل، سأقدّم رؤًى نظريّةً وعمليّة لفَهْم احتياجات الطلبة وتطوُّرهم/نّ النفسيّ- العاطفيّ في سياقات استعماريّة، وبَلْورة عمل المستشارين، ليتّخذوا دَوْر "كاسري حلقة الاضطهاد" (Oppression Cycle Breakers). تستند هذه الرؤى إلى أفكار اختصاصيّين نفسيّين في مجال ما بعد الاستعمار. من هؤلاء الاختصاصيّين: فرانز فانون،[1] وحسين بولهان،[2] ومارتن بارو،[3] وتربويّون تحرُّريّون من أمثال فريري[4] وجيرو.[5] كذلك سيناقش المقال مفهوم الحياد المهنيّ وأخلاقيّات العمل في سياقات غير محايدة ولا أخلاقيّة. أخيرًا، سأقدّم أدوات عمل تربويّة وعلاجيّة تهدف إلى تعزيز الوعي النقديّ للطلبة وحصانتهم النفسيّة أمام المؤسَّسة الإسرائيليّة، لبناء جيل أكثر تكاتفًا ومسؤوليّة تجاه مجتمعه.

1. Fanon, Frantz. (2006). **Black skin, white masks. New York**: Grove Press. (Originally published in 1952).

2. Bulhan, Hussein Abdilahi. (2015). Stages of colonialism in Africa: From occupation of land to occupation of being. **Journal of Social and Political Psychology**, 3 (1). Pp. 239– 256.

3. Martín-Baró, Ignacio. (1996). **Writings for a liberation psychology**. United States: Harvard University Press.

4. Freire, Paulo. (2017). **Pedagogy of the oppressed**. United Kingdom: Continuum. (Originally published in 1970).

5. Giroux, Henry. (2022). **Pedagogy of resistance**. Britain: Bloomsbury.

مدخل

يرى المحلّل النفسيّ فرويد أنّ الصحّة النفسيّة تتمثّل في قدرة الفرد على الموازنة بين العمل والحبّ.[6] ولكن، كيف يمكن أن تكون سليمًا نفسيًّا، قادرًا على الموازنة بين العمل والحبّ، في بيئة تسلب منك فرص العمل، أو تهدم بيتك، أو تصادر أرضك، وتحوّلك بعدها إلى أجير براتب زهيد؟ وكيف تكون معافًى في بيئة تتعرّض فيها للصدمة على نحوٍ مستمرّ، وقد تفقد فيها من تُحِبّ بسبب المرض أو الموت أو السَّجن أو الإجرام المنظَّم في محيطك؟ وبعبارات الاختصاصيّ النفسيّ النقديّ، إريك فروم،[7] نتساءل: كيف يمكننا أن نكون أسوياء في واقع معتَلّ ومجتمع يتعرّض للقهر، والطبقيّة، والاستغلال المادّيّ والمعنويّ؟ وفي السياق الفلسطينيّ أتساءل: كيف نتعافى ونحن نعيش في سياق استعماريّ- استيطانيّ (Settler Colonialism) ، متشبّع بالعنصريّة من قِبل المستعمِر، وتتواكب فيه النكبة العابرة للأجيال ومحاولات تشويه الهُويّة الفلسطينيّة؟ وأتساءل كذلك: ما هو الدَّوْر المهنيّ والأخلاقيّ المَنُوط بمقدِّمي الخدمة النفسيّة في بيئة كهذه؟

بينما تركّز معظم النظريّات الكلاسيكيّة في علم النفس والاستشارة النفسيّة على الفرد وصحّته النفسيّة الخاصّة،[8] وعلى تعليمه كيفيّة التأقلم مع الظروف البيئيّة المحيطة به،[9] تُوْلي نظريّات علم النفس الاجتماعيّ والسياسيّ، وخاصّة علم النفس التحرُّريّ، أهمّيّة قصوى للبيئة التي ينشأ فيها الفرد وتأثيرها عليه وعلى المجتمع، حيث لا تَفْصل هذه النظريّات الأخيرة بين صحّة الفرد والبيئة التي يحيا فيها، أو بينه وبين صحّة الجماعة التي ينتمي إليها، بل يتجاوز علمُ النفس المجتمعيُّ والسياسيُّ والتحرُّريُّ كلًّا من الفردانيّة والمعايير الغربيّة الأكاديميّة للصحّة النفسيّة، مقدِّمًا أدوات عمل غير تقليديّة للمعالِجين،[10] ويعيد بناء العلاقة بين مقدِّمي الخدمة النفسيّة ومتلقّيها.[11] وكجزء من علم النفس الاجتماعيّ والسياسيّ، يُعتبَر علم النفس التحرُّريّ منهجًا ثوريًّا في الصحّة النفسيّة؛ وذلك أنّه يعيد بناء دَوْر المعالِج النفسيّ في بيئة يسودها الاضطهاد والقمع،[12] ويسلّط الضوء على الصحّة النفسيّة المجتمعيّة (collective wellbeing) وآثار الاستبداد على الفرد والجماعة،[13] وكذلك يحثّ علمُ النفسِ التحرُّريُّ المعالِجَ على تفكيك هذه الظروف البيئيّة لفَهْم تأثيرها على الإنسان والمجتمع، ويشجّع المضطهَدين على عدم التأقلم مع الظروف القامعة، بل على قراءتها وتحليلها وضرورة مواجهتها وتغييرها يدًا بِيَد مع الآخرين؛[14] فللحفاظ على توازننا النفسيّ علينا الانتباه إلى عدم التوازن أوّلًا ورفض مسايرة الظلم أو العنصريّة والاضطهاد بأشكالها كافّة.[15]

---

6. Freud, Sigmund. (1964). **The complete psychological works of Sigmund Freud**. London: Hogarth Press.

7. Fromm, Eric. (1955). **The sane society**. Winston: Holt Rinehart,

8. Sugarman, Jeff. (2015). Neoliberalism and psychological ethics. **Journal of Theoretical and Philosophical Psychiatry**, 35 (2). Pp. 103- 116.

9. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

10. جبر، سماح. (2024، 19 أيلول). **الإسلام وعلم النفس التحرُّريّ**. الجزيرة نت.

11. Lacerda-Vandenborn, Elisa; et al.. (2025). Reimagining "multiple relationships" in psychotherapy: Decolonial/ liberation psychologies and communal selfhood. **American Psychologist**, 80 (4). Pp. 522- 534; Sugarman, Jeff. 8 مرجع رقم.

12. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

13. Neville, Helen A.; et al.. (2021). The public psychology for liberation training model: A call to transform the discipline. **American Psychologist**, 76 (8). Pp. 1248- 1265.

14. جبر، سماح. مرجع رقم 10.

15. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

ومن خلال هذه الرؤية النقديّة للصحّة النفسيّة، وخاصّة من منظور علم النفس التحرُّريّ، تتناول هذه الدراسة هُويّة الاستشارة التربويّة- النفسيّة لدى الفلسطينيّين في إسرائيل كمثال لمهنة نفسيّة مركزيّة في المجتمع، مسلّطةً الضوء على دَوْر الاستشارة في تفكيك القهر والظلم الممارَس على الطلبة والخوض مهنيًّا واجتماعيًّا لكسر دوائر العنف الاستعماريّ، والسياسيّ الحاصل تاريخيًّا في المجتمع الفلسطينيّ في الداخل منذ عام 1948. لم أختَر التركيز على هذه المهنة لمركزيّتها في المجتمع والمدارس العربيّة فحسب، وإنّما كذلك لأنّها تجسّد وتطبّق الأيديولوجيّة الصهيونيّة والسياسة الأمريكيّة،[16] وتاريخُها في العالم هو غير محايد كما سأبيّن لاحقًا.[17] ففي إسرائيل خاصّة، تنحاز هذه المهنة في طبيعتها ومبناها وخدماتها إلى المصالح الإسرائيليّة، وتروّج للأيديولوجيّة الصهيونيّة، وتُشَرْعِنُ الاستعمار.[18] بالإضافة إلى ذلك، الأطر التربويّة والمدارس، التي تُمارَس فيها الاستشارة التربويّة النفسيّة، تجسّد الأيديولوجيّة الصهيونيّة والأَجِنْدات السياسيّة الاستعماريّة،[19] والتي تشكّل شخصيّةَ طالب فلسطينيّ مغترب عن نفسه وعن شعبه، ومنسلخ عن تاريخه وموروثه الثقافيّ.[20] الحالة هي ذاتها لدى المستشارات/ين التربويّات/ين النفسيّات/ين في إسرائيل؛ إذ تخلق هذه المهنة شعورًا بالاغتراب والفجوة بين العاملات/ين في هذه المهنة من ناحية، والمجتمع الفلسطينيّ من ناحية أخرى، على نحوٍ ما بيَّنَ ذلك في العقود السابقة الباحثُ والمستشار الفلسطينيّ سامي خليل مرعي،[21] وما وجدتُه أنا لاحقًا في نتائج البحث الذي أجريتُه في فترة الأعوام 2021- 2023.[22]

مقدّمة

تبلورت فكرة كتابة هذه المقالة إذن من خلال البحث الذي قمتُ به[23] لدراسة مبنى الهُويّة المهنيّة للمستشارات/ين التربويّات/ين النفسيّات/ين في فلسطين المحتلّة عام 1948 والأوجه السياسيّة والثقافيّة لهذه المهنة في سياق استعمار استيطانيّ. قمتُ من خلال البحث بتفكيك الخطاب السياسيّ والثقافيّ للاستشارة التربويّة النفسيّة من خلال تحليل ملفّات مُؤَرْشَفة في تاريخ الاستشارة التربويّة النفسيّة منذ بدايتها في إسرائيل، وكذلك أجريتُ مقابلات مع 21 مستشارًا/ مستشارة تربويًّا/ تربويّة من فلسطين عام 1948، حيث تحدّثتُ إليهم/ن حول هُويّتهم/ن ودَوْرهم/ن المهنيّ خاصّة في ظلّ الوضع الاجتماعيّ- السياسيّ التاريخيّ والراهن. سألتهم عن تقييمهم لاحتياجات طلبتهم والبيئة (الحيّ؛ المدينة...) التي يعملون فيها، ومواقفهم إزاء العمل في السياق الإسرائيليّ وداخل

16. Rahal, Ahlam. (2023). The politics of school counselling: Exploring the professional identity of Palestinian school counsellors. [Unpublished PhD Dissertation, Montreal McGill University].

17. Carter, Robert T.. (2004). "A cultural-historical model for understanding racial-cultural competence and confronting dynamic cultural conflicts: An introduction". In: Robert T. Carter (Ed.). **Handbook of racial-cultural psychology and counseling, training and research**. New Jersy: Wiley. Pp. ix- xxvi.

18. Rahal, Ahlam; & Arar, Khalid. (2025). The epistemology and ontology of school counselling in a colonial ethnocentric education system. **JORMA International Journal of Health and Social Sciences Research**, 3 (5). Pp. 25- 34.

19. المرجع السابق.

20. أبو سعد، إسماعيل؛ ومحاميد، حاتم. (2014). المنهاج المدرسي وبلورة الهويّة لدى الشبيبة الفلسطينية في جهاز التعليم العربي في إسرائيل. **نبراس**، 8. ص.ص. 48- 83.

21. Mar'i, Sami Khalil. (1982). Cultural and socio-political influences on counseling and career guidance: The case of Arabs in the Jewish state. **International Journal for the Advancement of Counselling**, 5 (4). Pp. 247- 263.

22. Rahal, Ahlam. مرجع رقم 16.

23. المرجع السابق.

شيفي "مؤسَّسة الخدمات النفسيّة الاستشاريّة الإسرائيليّة". وكذلك سألت عن مصادر التدخّل التي يستخدمونها ونوعيّة البرامج التي يقدّمونها في هذه الظروف. كانت أهمّ النتائج التي وجدتُها هي أنّ هذه المهنة متجذّرة في الأيديولوجيّة الصهيونيّة الاستعماريّة، فهي تُشَرْعِنُها وتغرسها في عقول الطلبة اليهود من خلال بعض البرامج الاستشاريّة كالهُويّة والتهيئة للتجنيد الإلزاميّ. علاوة على هذا، تجسّد هذه المهنة الفوقيّة الصهيونيّة والغربيّة، وتُوْلي حقوقَ وَ"ثقافةَ" المجتمع اليهوديّ الإسرائيليّ أولويّةً، فتهتمّ بمشاعر الطلبة اليهود إزاء الضائقات والصدمات الاجتماعيّة، مثل المحرقة والانتفاضة والحرب على غزّة، مقابل تهميش شبه كامل للثقافة العربيّة الفلسطينيّة وتاريخها ومكانة هذا المجتمع في الدولة وقمعها لكلّ سرديّة أو تعبير شعوريّ أو فكريّ يتعارضان مع الأيديولوجيّة والفوقيّة الصهيونيّة، على نحوٍ ما حدث مؤخّرًا من ملاحقات سياسيّة وعنف تجاه الفلسطينيّين في الداخل خلال الحرب الأخيرة على غزّة.[24] بالإضافة إلى ذلك، لا تلتفت هذه الخدمات إلى احتياجات الطلبة العرب الفلسطينيّين في سياق مكانتهم في الدولة كأقلّيّة أصلانيّة وما يترتّب على هذا من ظروف اجتماعيّة واقتصاديّة. ورغم أنّ العديد ممّن قابلتُهم أبْدَوْا فَهْمًا نقديًّا وشموليًّا لاحتياجات طلبتهم الفلسطينيّين العرب، وتبنَّوْا دَوْرا تحريريًّا ثوريًّا في عملهم، كان هنالك البعض ممّن أبدَوْا أحكامًا وآراء مقلقة تجاه الطلبة وذويهم تنعتهم بصفات سلبيّة، دون تفهُّم للسياق الذي يعيش فيه المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل، وهذه المواقف تعكس مفهوم "الميتاكولونياليّة" (الكولونياليّة الذاتيّة) لدى حسين بلهان[25] الذي يُظهِر الرواسب النفسيّة التي يخلّفها الاستعمار والقهر المتواصل في الشعوب المستعمَرة، إذ قد يتماهى المستعمَر مع قاهرِهِ ويذوّت حالة الشعور بالدونيّة أمامه، فينبذ مجتمعه، ويتبنّى موقف المستعمِر تجاه المقهور كآليّة دفاعيّة للتعويض عن شعوره بالنقص. وكان هناك البعض ممّن فضّلوا عدم الخوض في النقاش حول السياق الاجتماعيّ والسياسيّ للمجتمع الفلسطينيّ وتأثير هذا السياق على صحّة الطلبة، ظانّين أنّه من الواجب أن يكون المعالِج "موضوعيًّا"، وألّا يربط بين العمل الاستشاريّ والحيّز الاجتماعيّ- السياسيّ. كانت هذه الآراء مخالفة تمامًا لِما وجدتُه في الأرشيف حول ارتباط الأيديولوجيّة الصهيونيّة والأَجِنْدات السياسيّة بالاستشارة التربويّة النفسيّة في إسرائيل كما أشرتُ سابقًا. لذا، حفّزتني هذه النتائج على كتابة هذه المقالة، لأنّ مواقف المستشارات/ين وغياب الوعي السياسيّ والاجتماعيّ تخالف تمامًا فكرة علم النفس التحرُّريّ بل تخالف كذلك علم النفس العابر للثقافات، بل قد تكرّس مثلُ هذه الآراء سياساتِ القمع تجاه المضطهَدين،[26] لأنّها تفصلهم عن بيئتهم وتعزّز النظرة السلبيّة والاستعماريّة والاستبداديّة تجاههم.[27]

وبالتالي، فقد تساءلتُ بعد هذا البحث عن هُويّة العمل الاستشاريّ التربويّ- النفسيّ في المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل، وهي أقلّيّة أصلانيّة تعيش الاضطهاد والاستعمار[28] والصدمة الجماعيّة

24. طه، يوسف. (2025). بين قبضة الملاحقة ومحدوديّة الفاعليّة: الطلبة فلسطينيّو الـ48 في الجامعات الإسرائيليّة في أعقاب حرب الإبادة على قِطاع غزّة. ملف الأكاديميا في زمن الحرب على غزّة- مدى الكرمل.

25. Bulhan, Hussein Abdilahi. مرجع رقم 2.

26. Wing Sue, Derald; et al.. (2022). **Counseling the culturally diverse**. (Ninth edition). US: Wiley.

27. Carter, Robert T. مرجع رقم 17.

28. Ghanem, As'ad. A; & Khatib, Ibrahim. (2019). "Palestinian Citizens in Israel. Sociopolitical Status as a Mental Health Determinant". In: Haj-Yahia, Muhammad M.; Nakash, Ora; & Levav, Itzhak. (Eds.). **Mental Health and Palestinian Citizens in Israel**. Indiana: Indiana University Press. Pp. 11- 19.

العابرة للأجيال،[29] ولا زالت ذاكرتهم الجمعيّة تحمل أصداء النكبة وآثارها عليهم،[30] وتفكّرتُ في معنى أن تكون محايدًا في مهنة غير محايدة بطبيعتها، تقوم على تذويت الأيديولوجيّة الصهيونيّة، وتعمل على تحقيق أجِنْدات سياسيّة واقتصاديّة. وتبنّيًا لمبادئ علم النفس التحرُّريّ الذي لا يفصل بين الصحّة النفسيّة والسياقات الاجتماعيّة- السياسيّة، فإنّني وجدت ضرورة في إعادة قراءة هُويّة العمل الاستشاريّ التربويّ النفسيّ في أراضي 1948 وبلورة دَوْر الاستشارة التربويّة- النفسيّة، لتأخذ طابعا تحرُّريًّا. وبالرغم من أنّني سأتبنّى تأنيث المصطلح "مستشارة تربويّة- نفسيّة" (لأنّ معظم العاملين في هذا المجال هم من الإناث)[31] فإنّ ما سأكتبه غير مقتصر على الانتماء إلى جندر.

سأقدّم أوّلًا نبذة عن الاستشارة التربويّة- النفسيّة وأشرح تاريخ نشأتها في السياق العالميّ وفي إسرائيل والمجتمع الفلسطينيّ، مشيرة إلى الجوانب السياسيّة والاستعماريّة لهذه المهنة. ثانيًا، سأشرح مبادئَ علم النفس التحرُّريّ وعلاقتَها بالاستشارة التربويّة النفسيّة، لأقدّم رؤية نظريّة تحرُّريّة عامّة لهذه المهنة. ثالثًا، سأبلور هُويّة العمل الاستشاريّ من منظور علم النفس التحرُّريّ، حيث أستعرض بعض الأفكار النظريّة والأدوات العمليّة للمستشارة لكسر دوائر الاضطهاد البنيويّ والاجتماعيّ تجاه الطلبة. أختتم المقالة ببعض التوصيات لمقالات مستقبليّة وأبحاث حول دَوْر الاستشارة التربويّة وبَلْوَرتها من خلال علم النفس التحرُّريّ لدعم المقهورين والمضطهَدين.

الاستشارة التربويّة- النفسيّة وجوانبها السياسيّة والاستعماريّة

تنتمي الاستشارة التربويّة- النفسيّة إلى مجالَيْ علم النفس والتربية، وتهدف إلى تطوير قدرات الطلبة الاجتماعيّة- النفسيّة والتعلُّميّة والمهنيّة، ليكونوا قادرين على الاستمرار والتأقلم مع المجتمع على نحوٍ مستقلّ بعد تخرُّجهم من المدرسة.[32] وفي ظلّ تفرُّع مجالات الاستشارة النفسيّة، فقد كانت الاستشارة التربويّة أُولى المهن النفسيّة التي تأسّست في الأطر التربويّة لتلبّي احتياجات الطلبة التطوُّريّة المختلفة؛[33] غير أنّ الرؤية النقديّة لعلاقتها بالسياق السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ وتأثيرها عليه ظلّت قاصرة ومهمَّشة في الأدبيّات السابقة. ولذا، فإنّ القراءة التاريخيّة النقديّة لهذه المهنة هي أمر ضروريّ لتعميق فَهْمها وإعادة بَلْوَرتها بمنظور تحرُّريّ.

نشأت الاستشارة التربويّة في الولايات المتّحدة مطلع القرن العشرين، كوظيفة ترمي إلى تقديم خدمات إرشاد مهنيّ للشبيبة والبالغين، لتساعدهم على التعرُّف على قدراتهم وصفاتهم الشخصيّة وملاءمتها لمهاراتهم المهنيّة ومتطلّبات سوق العمل، ولذا كان الهدف أيضًا الإسهام في تطوير

29. Al-Krenawi, Alian. (2005). Socio-political aspects of mental health practice with Arabs in the Israeli context. **Israel Journal of Psychiatry and Related Sciences**, 42 (2). P.p. 126- 136.

30. Nahhas, Eman. (2016). "The "Silenced" Narrative of 1948 War Events Among Young Palestinians in Israel". In: Sharvit, Keren; & Halperin, Eran (Eds.). **A Social Psychology Perspective on The Israeli-Palestinian Conflict: Celebrating the Legacy of Daniel Bar-Tal, Vol II**. Cham: Springer International Publishing. Pp. 61- 75.

31. إرهارد، راحيل. (2014). **الاستشارة التربويّة: مهنة تبحث عن هُويّتها**. تل أبيب: معهد موفيت. [بالعبريّة]

32. Foxx, Sejal Parikh; Baker, Stanely B.; & Gerler, Jr, Edwin R.. (2016). **School counseling in the 21st century**. (Sixth edition). Routledge.

33. Remley, Theodore; & Herlihy, Barbara. (2014). **Ethical, legal, and professional issues in counseling**. (Sixth edition). Upper Saddle River- Prentice Hall.

اقتصاد الولايات المتّحدة.[34] ومثل العديد من الدول التي تبنّت برنامج العمل الاستشاريّ الأمريكيّ، استعارت اسرائيل، عام 1960، هذه المهنة، بأهدافها، ونظريّاتها النفسيّة والتربويّة، كما تُظهر ذلك جلسات الكنيست عام 1960،[35] وقد أشار إليها العديد من الباحثين في الاستشارة التربويّة النفسيّة في إسرائيل والمجتمع الفلسطينيّ، من بينهم مرعي،[36] وإرهارد،[37] ورحّال.[38]

اتّخذت هذه المهنة، منذ فجر ظهورها، طابعًا استعماريًّا وسياسيًّا في إسرائيل؛ فقد هدفت إلى حلّ المشاكل الديمچرافيّة والقضايا السياسيّة والاقتصاديّة للدولة الجديدة آنذاك، والتي هدّدت صمودها ككِيان ناشئ، يحتاج إلى الاستقرار المادّيّ، وإلى كثافة سكّانيّة كافية ووَحدة وطنيّة.[39] لذا، أسّست الكنيست مهنة العمل الاستشاريّ في المدارس الإسرائيليّة لتحسين اقتصاد الدولة، ولتشجيع المِزْراحِيِّيمْ "اليهود الشرقيّين" على الهجرة إليها والانتشار في المستعمَرات الإسرائيليّة في الأراضي المحتلّة.[40] ومن هنا، فقد ابتغت الاستشارة في مهدها توجيهَ الطلبة الشرقيّين المتسرّبين من المدارس إلى التعلُّم في أطر تربويّة زراعيّة وصناعيّة بَنَتْها خصّيصًا لهم. كذلك قدّمت هذه الوظيفة خدمات إرشاد مهنيّ حول فرص العمل المتاحة في السوق، وأسهمت في نشر ثقافة المجتمع اليهوديّ الإسرائيليّ، وأيديولوجيّته الصهيونيّة، لتَبْني مجتمعًا إسرائيليًّا أكثر تماسكًا، كما بيّنت جلساتُ الكنيست عام 1960،[41] وأبحاثٌ في الاستشارة التربويّة النفسيّة.[42]

وبينما سلّطت الحكومة الإسرائيليّة الضوء على احتياجات المجتمع الإسرائيليّ ومصالحه الاقتصاديّة والسياسيّة، منعت الحكومة المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل من ممارسة هذه المهنة لمدّة عشر سنوات تقريبًا،[43] وذلك بالرغم من الصعوبات الاقتصاديّة والسياسيّة التي مرّ بها الفلسطينيّون في الداخل منذ عام 1948، ورغم مطالبتهم بتبنّي مهنة العمل الاستشاريّ.[44] في بداية سبعينيّات القرن الماضي فقط، سمحت الحكومة الإسرائيليّة بتهيئة معلّمين عرب ليكونوا مستشارين تربويّين نفسيّين، ووافقت على ممارسة هذه المهنة في المدارس الفلسطينيّة في الداخل المحتلّ. غير أنّ هذه المهنة ظلّت محدودة بسبب عدم ملاءمتها للثقافة العربيّة الفلسطينيّة، ولا لاحتياجات الطلبة النفسيّة والتعليميّة.

34. المرجع السابق.

35. الكنيست. (1960). جلسات الكنيست عام 1960. أرشيف الدولة. [بالعبريّة]

36. Mar'i, Sami. Khalil. 21 مرجع رقم.

37. إرهارد، راحيل. مرجع رقم 31.

38. Rahal, Ahlam. (2026). The professional is political: Postcolonial impacts on Palestinian school counselling professional identities. **JORMA International Journal of Health and Social Sciences**, 4 (1). Pp. 10- 25.

39. Rahal, Ahlam; & Arar, Khalid. 18 مرجع رقم.

40. المرجع السابق.

41. الكنيست. مرجع رقم 35.

42. Israelashvili, Moshe, & Wegman-Rozi, Orit. (2012). Formal and applied counseling in Israel. **Journal of Counseling & Development**, 90 (2). Pp. 227- 232; Rahal, Ahlam. 16 مرجع رقم.

43. Mar'i, Sami. Khalil. 21 مرجع رقم.

44. Rahal, Ahlam; & Arar, Khalid. 18 مرجع رقم.

ومن الجدير ذكره أنّ ثقافة ومفاهيم الاستشارة التربويّة النفسيّة ترتكز على قِيَم غربيّة– أوروبيّة، كالمادّيّة والمنافَسة والفردانيّة وتحقيق الإنسان لذاته واحتياجاته الشخصيّة، وبعض هذه القِيَم تتعارض مع بنْية العلاقات الاجتماعيّة وشخصيّة الأفراد في المجتمعات الجماعيّة أو التي تميل إلى الجماعيّة مثل المجتمع العربيّ والفلسطينيّ. ففي البيئة الجماعيّة، قد لا تنفصل احتياجات ورفاهيَة الفرد عن تلك الخاصّة بالعائلة والمجتمع. وقد يحتاج الفرد أحيانًا إلى التنازل عن أهدافه الخاصّة من أجل الحفاظ على التوازن والانسجام مع أهداف العائلة. تخلق هذه الفجوةُ الثقافيّة في مجالات الصحّة النفسيّة -كالعمل الاستشاريّ على سبيل المثال- تحدّياتٍ مهنيّةً في فَهْم احتياجات طالبي الاستشارة والخدمات النفسيّة.[45] أثارت مثل هذه الفجوات تساؤلات باحثين حول الممارسات غير العادلة في هذه المهنة، وإهمالها للطلبة المضطهَدين واحتياجاتهم المختلفة.[46]

فعلى سبيل المثال، حين درَسَ سامي مرعي[47] العمل الاستشاريّ لدى الفلسطينيّين، وجد أنّ هناك فجوة بين ما يعيشه الإنسان الفلسطينيّ وما تقدّمه هذه المهنة من خدمات. وكما أسلفتُ الذكر، في البحث الذي أجريتُه[48] بعد أربعة عقود من بحث مرعي، وجدتُ أنّ الكثير من المستشارات لا يعرفن بعض الحقائق الهامّة عن المجتمع الفلسطينيّ، وظروفه الاجتماعيّة والسياسيّة كأقلّيّة مضطهَدة، ولا عن احتياجات الطلبة النفسيّة في مجتمع أصلانيّ مهمَّش في وطنه، يتعرّض للاستبداد المتواصل. ولذا، أقوم في ما يلي بإعادة النظر في هذه المهنة من منظور تحرُّريّ.

العمل الاستشاريّ بمنظور علم النفس التحرُّريّ

لا زالت الدراسات حول علم النفس التحرُّريّ ومهن الخدمات النفسيّة، وخاصة الاستشارة التربويّة-النفسيّة، في طور نشأتها. يختلف علم النفس التحرُّريّ عن معظم مدارس علم النفس التقليديّة، كالمدرسة السلوكيّة والإنسانيّة والتحليليّة، في نظرته الشموليّة إلى الصحّة النفسيّة للفرد والجماعة، وأهمّيّة تحريرهم من الأفكار الاستبداديّة التي تسرّبت إلى وعيهم من خلال ظروفهم الاجتماعيّة، نحو: تاريخ استعمارهم،[49] والظروف الاقتصاديّة والسياسيّة المحيطة بهم...[50] يشرح حسين بولهان -وهو من أوائل من كتبوا في علم النفس التحرُّريّ في السياق الاستعماريّ لأفريقيا-[51] أنّ هذا التخصُّص يرمي إلى تلبية احتياجات المضطهَدين، ويُوْلي بلوغَ الحرّيّة الجماعيّة أهمّيّة، إذ إنّ هذه الحرّيّة لا تُنال بصورة فرديّة، بل بصورة جماعيّة. لذا يركّز علم النفس التحرُّريّ على تعزيز وعي الجماعة وعملها المنظَّم.[52] ويرى الاختصاصيّ النفسيّ مارتن بارو -وهو من مؤسّسي علم النفس

45. Haj-Yahia, Mohamad M.. (2019). "The Palestinian Family in Israel: Its Collectivist Nature, Structure, and Implications for Mental Health Interventions". In: Haj-Yahia, Mohamad M.; Nakash, Ora; & Levav, Itshak (Eds.). **Mental Health and Palestinian Citizens in Israel**. Indiana: Indiana University Press. Pp. 97- 120.

46. Rahal, Ahlam; & Arar, Khalid. مرجع رقم 18.

47. Mar'i, Sami. Khalil. مرجع رقم 21.

48. Rahal, Ahlam. مرجع رقم 16.

49. Bulhan, Hussein Abdilahi. (1985). **Frantz Fanon and the psychology of oppression**. New York: Plenum.

50. Martín-Baró, Ignacio. مرجع رقم 3.

51. Bulhan, Hussein Abdilahi. مرجع رقم 49.

52. Bulhan, Hussein Abdilahi. مرجع رقم 2.

التحرُّريّ- أنّ للمعالِج النفسيّ دَوْرًا قياديًّا وسياسيًّا في تحرير طالبي العلاج، موضّحًا أهمّيّة انخراط هذه المهنة في المجتمع، وفَهْم القوى وصراعاتها، والعمل مع المتعالج وفئات المجتمع المختلفة على فَهْم الظروف القاهرة وتغييرها.[53]

ومن النظريّات التي أثّرت كثيرًا في علم النفس التحرُّريّ النظريّةُ التربويّة التحرُّريّة لپاولو فريري.[54] ونظرًا لتخصيص هذه المقالة حول العمل الاستشاريّ التربويّ النفسيّ، فإنّه من المهمّ كذلك تسليط الضوء على نظريّة فريري النقديّة. يعتقد فريري أنّ المجتمعات التي يسودها الاستغلال الطبقيّ، والقمع، والاضطهاد على مستوياته كافّة، تَستخدم جهاز التربية والتعليم كذراع للسلطة، حيث تقوم المناهج التربويّة ببناء شخصيّة طالب منصاع وصامت، يستقبل المعلومات المقدَّمة إليه ويذوّتها، عوضًا عن التفكير بها وإعادة فَهْم العالَم على نحوٍ نقديّ.[55] ويؤكّد فريري، وغيره من التربويّين التحرُّريّين من أمثال هنري جيرو[56] وباحثين فلسطينيّين نقديّين أمثال عرار[57] وصيام[58] وأبو سعد ومحاميد،[59] أنّ جهاز التربية والتعليم يهدف إلى السيطرة على عقل الطلبة من خلال تجهيلهم بأهمّ الأمور الاجتماعيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة الحاصلة حولهم. فضلًا عن هذا، يسلّط كلّ من أبو سعد ومحاميد الضوء على التأثير السلبيّ للمنهاج التربويّ على هُويّة الطلبة العرب الفلسطينيّين وخلق الفجوة بين الروايةِ التي ربّما سمعها الطلبة الفلسطينيّون عن مجتمعهم وتاريخهم، وعدمِ الاعتراف بها أو حتّى تشويهها في المناهج التربويّة.[60] ومن هنا يرى فريري، والعديد من الباحثين النقديّين في مضمار التربية، أهمّيّةً قصوى في رفع وعي الطلبة وتفكيرهم النقديّ لِما يدور حوله من قضايا اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة، تؤثّر عليه وعلى المحيطين به.

يرى تشارلز تايلور[61] في دراساته حول آثار الاستعمار على هُويّة السكّان الأصليّين في شمال أمريكا أنّ ما يبني شخصيّة الإنسان المستعمَر هو ليس فقط المعلومات المضلِّلة التي تبثّها أجهزة الدولة له، وإنّما كذلك ما تنزعه هذه الأجهزة من وعي الفرد وما لا تعترف به. فتايلور يعتقد أنّ تجهيل المستعمَر بشأن تاريخه وثقافته وحياته يؤدّيان إلى تشكيل شخصية هشّة ومشوَّهة، لا تنتمي إلى تاريخها، ويَسْهل السيطرة عليها، كما أنّ تغييب بعض مزايا المجتمع المستعمَر وموروثه الثقافيّ عن الحيّز العامّ قد يخلق هُويّة غير واضحة المعالم.[62] لا يختلف هذا السياق عمّا يحدث لدى الفلسطينيّين في الداخل، حيث تسيطر الحكومة الإسرائيليّة على مناهج التعليم

53. Martín-Baró, Ignacio. مرجع رقم 3.

54. Freire, Paulo. مرجع رقم 4.

55. المرجع السابق.

56. Giroux, Henry. مرجع رقم 5.

57. عرار، خالد. (2018). السياسات التربويّة الإسرائيليّة وحال التعليم العربي في إسرائيل. **مجلّة الدراسات الفلسطينيّة**، 115. ص.ص. 133- 158.

58. صيام، محمد أحمد. (2025، 1 شباط). الاستهداف الإسرائيليّ للمؤسّسات التعليميّة الفلسطينيّة خلال الفترة من 1967 - 2023. **لُباب**، 25.

59. أبو سعد، إسماعيل؛ ومحاميد، حاتم. (2014). مرجع رقم 20.

60. المرجع السابق.

61. Taylor, Charles. (1994). "The politics of recognition". In: Gutmann, Amy (ed.). **Multiculturalism: examining the politics of tecognition**. New Jersey: Princeton. Pp. 25- 73.

62. المرجع السابق.

في المدارس العربيّة،[63] مؤثّرة بالتالي على وعي وهُويّة الطلبة الفلسطينيّين وفَهْمهم لأنفسهم ومجتمعهم والعالم.[64]

وفي سياق مشابه، يسلّط فرانز فانون[65] الضوء على تأثيرِ ما بعد الاستعمار على صحّة المستعمَر النفسيّة، وعلى العلاقات الاجتماعيّة بين الأفراد. فعلى سبيل المثال، يرى فانون أنّ مَن نشأوا في بيئة استعماريّة (أو ما بعد استعماريّة) تبثّ أفكارًا مشوَّهة وسلبيّة عن المستعمَر يذوّتون مشاعر الدونيّة والإحساس بأنّ المستعمِر أفضل منهم. كذلك يخلق التاريخ التراكميّ للاستعمار إحساسًا بالاغتراب لدى المستعمَر، إذ يشعر بأنّه غير منتمٍ، ولا يريد الانتماء إلى مجتمعه، ويفضّل أن يتماهى مع المستعمِر تعويضًا عن شعوره بالنقص، كما أسلفتُ آنفًا.[66]

ومن أهمّ الأفكار التي يقدّمها فانون[67] كذلك تشخيصُهُ لبعض الظواهر الاجتماعيّة التي تندرج تحت إطار الجُنَح والجرائم في المجتمع المستعمَر (كما يحدث في الداخل الفلسطينيّ)، حيث يرى فانون أنّ هذه المشاكل الاجتماعيّة هي نتيجة الاستعمار وليست متعلّقة بقِيَم المجتمع المستعمَر. وفي هذا السياق، يرى فانون -ويوافقه الرأيَ كلٌّ من الباحث السودانيّ حسين بلهان[68] والباحثة الفلسطينيّة سماح جبر[69]- أنّ الاضطهاد يحدث عموديًّا وأفقيًّا، فإذا لم يجرِ ردع العنف العموديّ (نحو: الاستعمار؛ الاحتلال؛ سرقة الأراضي؛ تهميش المدارس العربيّة؛ تقليل الموارد المدرسيّة؛ تقليل الموارد المقدَّمة للسلطات المحلّيّة العربيّة الفلسطينيّة؛ منع بناء الجامعات العربيّة في هذه البلدات؛ سحق الهُويّة الفلسطينيّة وغيرها من الممارسات الاستعماريّة التي تنفّذها السلطة الإسرائيليّة على المواطنين الفلسطينيّين العرب)[70] فستنتج عن هذا مشاكل وأشكال عنف تنتشر بشكل أفقيّ بين أفراد المجتمع الفلسطينيّ.

لاحظ هذا أيضًا الأسيرُ الفلسطينيُّ وليد دقّة؛[71] فقد أشار إلى أهمّيّة ملاحظة عنف السلطة الإسرائيليّة تجاه الفلسطينيّين العرب وأساليبها السياسيّة بعد الانتفاضتَيْن الأولى والثانية، وأثر هذه الأساليب في شَرْذَمة الهُويّة الجماعيّة الفلسطينيّة وخلق مشاكل داخليّة كالعنف والجريمة. وعلى ذلك، بدلًا من تبنّي الرؤية المحدَّدة التي ترى المقهور مسؤولًا عن مشكلاته، يوصَى المهنيّون في الصحّة النفسيّة من منظور تحرُّريّ بتفهُّم أُسُس الاضطهاد والمشاكل العموديّة التي من شأنها أن تنتشر لدى فئات الشعب المهمَّشة.

63. Jamal, Amal. (2017). Manufacturing 'quiet Arabs' in Israel: Ethnicity, media frames and soft power. **Government and Opposition**, 48 (2). Pp. 245- 264.

64. أبو سعد، إسماعيل؛ ومحاميد، حاتم. مرجع رقم 20.

65. Fanon, Frantz. مرجع رقم 1.

66. المرجع السابق.

67. Fanon, Frantz. (2007). **The wretched of the earth**. Daiana Publishing. (Originally published in 1961).

68. Bulhan, Huessein Abdilahi. مرجع رقم 2.

69. جبر، سماح. مرجع رقم 10.

70. Jamal, Amal. مرجع رقم 63.

71. دقّة، وليد. (2010). **صهر الوعي، أو إعادة تعريف التعذيب**. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.

في ما يلي، أقدّم بعض الاقتراحات بشأن تبنّي أفكار نظريّة وأدوات عمليّة لإسهام المستشارة في تفكيك الاستعمار وتأثيره على وعي الطلبة وصحّتهم النفسيّة.

الاستشارة التربويّة- النفسيّة التحرُّريّة في فلسطين: أفكار نظريّة وأدوات عمليّة

حتّى تتمكّن المستشارة التربويّة النفسيّة من الإسهام في تحرير عقول طلبتها نفسيًّا ومعنويًّا من آثار الاستعمار، توصَى أن تتبنّى دَوْرًا قياديًّا، ثوريًّا، غير نمطيّ، يتجاوز معايير العمل الاستشاريّ التقليديّة. أَسوق في ما يلي بعض الاقتراحات النظريّة والأدوات العمليّة، لتقديم خدمات استشاريّة بمفهوم علم النفس التحرُّريّ.

أوّلًا، من المهمّ إعادة النظر في مفهوم "المَهْنَنَة" (professionalism) في العمل الاستشاريّ ودَوْر المستشارة في السياق الاستعماريّ. يرى المفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد[72] -وهو أحد الروّاد في دراسات العدل الاجتماعيّ وما بعد الاستعمار- أنّ المثقّف الحقيقيّ والمهنيّ هو ليس فقط ذاك الحاصل على شهادات أكاديميّة، وإنّما هو كذلك المنخرط في شؤون مجتمَعِهِ والعالَم، وهو الذي يستخدم عِلْمه وشهاداته لرفع الظلم عن الآخرين. لا يمتثل المثقّف لأدوار ومسؤوليّات نمطيّة ملقاة عليه دون نقدها، ولا يقبل أن يمارس عملًا تقليديًّا يُقْصيه عن هموم مجتمَعِهِ اليوميّة والظروف القاهرة التي تؤثّر على هذا المجتمع، بل يجب على المهنيّ -حسبما يقول سعيد- أن يكون ناقدًا واعيًا، ومدركًا لظروف الناس، وأن يقوم بدَوْر قياديّ في دفع الظلم عن الآخرين، وأن يتّخذ موقفًا واضحًا وأخلاقيًّا بشأن الممارَسات القمعيّة بدلًا من أن يصطفّ جانبًا على الحياد. ومن خلال رؤية سعيد النقديّة للمثقّفين، أقترح إعادة النظر في مصطلح "المَهْنَنَة" في العمل الاستشاريّ ومهامّ هذه الوظيفة.

في المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل، تعمل المستشارة التربويّة النفسيّة وَفْق معايير العمل التي تفرضها شيفي "مؤسَّسة الخدمات الاستشاريّة النفسيّة الإسرائيليّة"، وهي مؤسَّسة مُؤَدْلَجة تخدم المصالح والأَجِنْدات السياسيّة والاجتماعيّة الإسرائيليّة.[73] ولأنّ العمل المهنيّ لا يعني اتّباع معايير مؤسَّساتيّة دون نقد ودون ملاءمة لثقافة واحتياجات المجتمع، تصبح المهنيّة الاستشاريّة -حسب رؤية إدوارد سعيد- بمثابة عمل من خلال قراءةٍ نقديّة للمحيط الاجتماعيّ والسياسيّ، والانخراطِ في شؤون وقضايا الناس، بما فيها الاستبدادُ والظلمُ، واستخدامِ المعرفة الاستشاريّة والمركز القياديّ في هذه المهنة لمساعدة المجتمع.[74]

ثانيًا، عدم الوقوف على الحياد. بالرغم من شيوع فكرة الحياد في العمل الاستشاريّ النفسيّ، فإنّ هذا الحياد محدود وغير حقيقيّ. فكما بيّنتُ سالفًا، هذه المهنة بطبيعتها ونشأتها غير محايدة. وَفْق معايير إدوارد سعيد النقديّة،[75] على المهنيّ والمثقَّف الحقيقيّ أن يتحلّى بالجرأة الكافية لاتّخاذ موقف

72. Said, Edward. (1993). **Representations of the intellectual**. New York: Vintage.

73. Rahal, Ahlam. مرجع رقم 16.

74. Said, Edward. مرجع رقم 72.

75. المرجع السابق.

حاسم إزاء الظلم النازل على المجتمع والعالَم. وفي السياق المهنيّ الفلسطينيّ، الحياد والموضوعيّة في سياق الاستبداد هما وهمٌ وطريقةٌ لإخراس صوت المثقَّف والمضطهَد. وفي منظور علم النفس التحرُّريّ، ينبغي على المهنيّ أن يختار بين أمرَيْن: أن يعمل على نحوٍ تقليديّ صامت، أو أن يتّخذ موقفًا وينخرط في هموم شعبه. وبما أنّ تطبيق هذا الاقتراح على أرض الواقع قد يكون شائكًا، نظرًا للأثمان التي قد تدفعها المستشارة إن عملت وحدها، أَسُوق في ما يلي اقتراحًا حول استخدام العمل الجماعيّ لحماية المستشارة والحدّ من تأثير المنظومة التربويّة والمؤسَّسة الإسرائيليّة على الفرد.

ثالثًا، العمل التكاتفيّ والجماعيّ بين المستشارات/ين التربويّات/ين وتكوين رابطة استشاريّة خاصّة بالمجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل. كما ذُكر سابقًا، يركّز علم النفس التحرُّريّ كثيرًا على القوّة الجماعيّة والتحرُّر الجماعيّ، ويرى أنّ القوّة تكمُن في الجماعة.[76] هذا العمل الجماعيّ هو أيضًا بمثابة مواجَهة لتقنيّة "التجزئة" أو "التفتيت" (Fragmentation) التي تتبنّاها الأنظمة الاستعماريّة والإمبرياليّة لتفكيك المجتمع والسيطرة عليه.[77] في المقابل، حين يكون العمل تكاتفيًّا ومنظوميًّا، يَصْعب التحكُّم بالمجموعة والأفراد، فتكون لديهم فرص وإستراتيجيّات أكثر للمقاومة وقوّة أكبر للمواجهة، وتكون المستشارة التربويّة النفسيّة أكثر حصانة وقوّة في عملها. ونظرًا لأنّ الجهاز التربويّ الإسرائيليّ هو جهاز سلطويّ وقمعيّ، خاصّة تجاه الفلسطينيّين،[78] فإنّه من المهمّ أن تحيط المستشارةُ نفسَها بمجموعات ومؤسَّسات مختلفة، تشاركها المسؤوليّة في عملها التحرُّريّ وفي اتّخاذ القرارات.

لذا، أقترح على المستشارات التربويّات النفسيّات الفلسطينيّات في إسرائيل تشكيلَ شبكة تواصُل وتشاوُر مع مستشارات أخريات لديهنّ الأهداف نفسها والمنظور التحرُّريّ نفسها، وذلك لبلورة خطوات عمليّة مدعومة بدراسات أكاديميّة حول أهمّيّة العمل التحرُّريّ وتطبيقه على أرض الواقع. يُساعد هذا العمل الجماعيّ على التعاون وفتح آفاق وفُرص أكثر للأفكار الخلّاقة، ويسهم في تقليل الفردانيّة والمَخاطر التي قد تُحْدق بالمستشارة إن كانت وحدها. كذلك يمكن تنظيم رابطة مهنيّة تمثيليّة توازي شيفي "مؤسَّسة الخدمات النفسيّة الاستشاريّة الإسرائيليّة"، لمناقشة التحدّيات المهنيّة في المدارس العربيّة، ولتمثيل المستشارة ودعمها أمام الجهاز التربويّ في إسرائيل، وتقديم خدمات وموارد أخرى للمستشارة.

رابعًا، تطوير الوعي النقديّ (critical consciousness)، وهي مهارة هامّة للغاية في التربية وعلم النفس التحرُّريّ. لا يعني الوعيُ النقديّ أن تكون للفرد القدرة على التفكير فقط، وإنّما أن تكون لديه كذلك القدرة على قراءة وتحليل الظروف المحيطة به والتي تؤثّر على نموّه وتطوُّره وخياراته المتاحة في المجتمع. فضلًا عن هذا، هي لا تعني القراءة أو فكّ حروف الكلمة، بل تعني تفكيك وفَهْم علاقة الإنسان بمجتمعه وبيئته وتفاعله مع الظروف المحيطة به، وقدرته على تحليلها، وربطها، والتأثير عليها، وتغييرها إذا أمكن.[79] حين تتبنّى المستشارة تفكيرًا ووعيًا نقديَّيْن، ستتمكّن من قراءة تاريخها، وتاريخ مهنتها، وتاريخ مجتمعها، والأحداث التي أثّرت على حاضرها وعلى احتياجات طَلَبَتها النفسيّة والمجتمعيّة والجسديّة الحاليّة، وعلى خياراتها المستقبليّة. كذلك

76. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

77. المرجع السابق.

78. عرار، خالد. مرجع رقم 57.

79. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

ينبغي على المستشارة تطوير هذه المهارة لدى طلبتها أيضًا، بحيث تساعدهم على قراءة محيطهم على نحوٍ نقديّ واعٍ.[80]

وفي هذا الصدد، من الضروريّ كذلك الإلمام بحقائق اجتماعيّة- سياسيّة عن واقع المجتمع الفلسطينيّ الأصلانيّ في أراضي 1948، وفَهْم المُناخ الذي يحيا فيه الطلبة. قد يبدو الأمر سهلًا نظرًا لكون المستشارة من مجتمع فلسطينيّ، إلّا أنّ الأمر ليس بهذه البساطة، إذ إنّ انتسابنا إلى مجموعة إثنيّة أو عِرْقية معيّنة لا يعني بالضرورة أن نكون على وعي بجميع تحدّياتها التاريخيّة. لذا يجب أن تكون المستشارة على دراية كافية بتاريخ وسيرورة تعرُّض الفلسطينيّين للقمع والاستبداد المُمَنْهَج من قِبل السلطة الإسرائيليّة، مثل مصادرة أراضيهم وتحويلهم من أصحاب أراضٍ إلى أجيرين،[81] ومعرفة نسبة الفقر العالية وارتفاع نسبة البطالة والجريمة والسَّجن والمشاكل الصحّيّة والنفسيّة لدى الفلسطينيّين مقارَنة باليهود الإسرائيليّين.[82] هنالك أيضًا الكثير من المعلومات الموثَّقة حول تأثير السياسة الإسرائيليّة على الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للفلسطينيّين،[83] وعلى صحّتهم النفسيّة والجسديّة.[84]

خامسًا، تَبَنّي نظريّات نفسيّة منظوميّة ونقديّة ورؤية عابرة للتخصُّصات في العمل الاستشاريّ، وذلك كي تتمكّن المستشارة من تعميق فَهْمها لنموّ الطلبة وصحّتهم النفسيّة في سياقها الاجتماعيّ والسياسيّ، وتحليل الظروف التي تؤثّر في نشأة الطلبة واحتياجاتهم.[85] انسجامًا مع الاقتراح الرابع حول الوعي النقديّ، تخدم النظريّات الاجتماعيّة والنقديّة العمل الاستشاريّ من منظور تحرُّريّ، حيث تقدّم رؤية شموليّة لاحتياجات الطلبة وتحدّياتهم، وتساعد المستشارةَ على فَهمٍ أشمل وأوسع لظروف نشأة الطلبة وتأثيرها على صحّتهم النفسيّة.

فعلى سبيل المثال، تقدّم نظريّة المحدِّدات الاجتماعيّة للصحّة (Social Determinants of Health) نظرة شموليّة بشأن الظروف الاجتماعيّة والتاريخيّة والسياسيّة التي تؤثّر في نشأة الفرد وصحّته الجسديّة والنفسيّة.[86] ومن بين هذه العوامل نجد الدخل المادّيّ، وظروف السكن، ومستوى التعليم، والعنصريّة، والجندريّة، والإقصاء الاجتماعيّ، والاستعمار، وهي ظروف يواجهها المجتمع الفلسطينيّ عامّة، وبخاصّة في أراضي 1948، بسبب سياسات التفرقة والفوقيّة الصهيونيّة.[87] ولذا، ثمّة أهمّيّة لرفع وعي المستشارة التربويّة- النفسيّة في ما يخصّ ارتباط صحّة الطلبة النفسيّة بهذه العوامل

80. Watts, Rodrick. J.; Abdul-Adil, Jaleel. K.; & Pratt, Terrance. (2002). Enhancing critical consciousness in young African American men: A psychoeducational approach. **Psychology of Men & Masculinity**, 3 (1), 41- 50.

81. جمّال، أمل. (2005). "نماذج تكوين اللامساواة في إسرائيل". لدى: بارئيلي، آفي؛ وجوتوين، دانييل؛ وفريلينج، طوفيا (محرّرون). **المجتمع والاقتصاد في إسرائيل: نظرة تاريخيّة وحاليّة**. ص.ص. 145 - 182. [بالعبريّة]

82. رحّال، أحلام. (2020). الليبراليّة الحديثة وصحّة الفلسطينيّين في إسرائيل: رؤية نقديّة بمنظور تاريخيّ. النيوليبراليّة الإسرائيليّة والاستعمار- مدى الكرمل.

83. سويرسكي، شلومو؛ وآخرون. (2021). صورة وضعيّة. مركز أدفا. [بالعبريّة]

84. رحّال، أحلام. مرجع رقم 82.

85. Morrill, Zenobia; & Comas-Díaz, Lillian. (2024). Feminist liberation psychotherapy: Re-politicizing intersectionality toward socially just clinical practice. **Women & Therapy**, 47 (3). Pp. 331- 347.

86. Czyzewski, Karina. (2011). Colonialism as a Broader Social Determinant of Health. **The International Indigenous Policy Journal**, 2 (1).

87. رحّال، أحلام. مرجع رقم 82.

البيئيّة المحيطة، وأن تفحص كيف تؤثّر -على سبيل المثال- بطالةُ الوالدَيْن، وشُحُّ الموارد المادّيّة في المدارس العربيّة، وانتشارُ الجريمة في البلدات العربيّة، وقوانينُ الدولة العنصريّة تجاه الفلسطينيّين، وتاريخُ الاستعمار التراكميّ، والمجازرُ المرتكَبة في غزّة، على مشاعر الطلبة واحتياجاتهم التعليميّة والنفسيّة.

ولرؤية أكثر عمقًا، في الإمكان تناوُل النظريّة النقديّة العرْقيّة (Critical Race Theory)،[88] وهي تتلاءم مع علم النفس التحرُّريّ، حيث تسلّط الضوء على كيفيّة تَبَنّي جهاز التربية والتعليم لقِيَم وأفكار المجتمع الأبيض (الغربيّ)، ومعايير أصحاب السلطة، بينما تهمّش الغالبيّة العُظمى من شعوب العالم، بمن فيهم السكّان الأصليّون والمجتمعات غير الغربيّة؛ فيتشرّب الطالب أفكارًا وقِيَمًا لا تخصّه، مؤثّرة بذلك في بنْية شخصيّته ومعرفته عن العالم وعن نفسه.[89] والجهاز التربويّ الإسرائيليّ خير مثال على هذا؛ إذ تُرسِّخ المناهج الإسرائيليّة القِيَم الصهيونيّة والغربيّة الاستعلائيّة، وتسلخ الطلبة الفلسطينيّين عن موروثهم الثقافيّ والاجتماعيّ،[90] خالقة هُويّة فلسطينيّة مشوَّهة، لا تعرف الكثير عن نفسها.

تتعمّق النظريّة العِرْقيّة النقديّة، لترى أيضًا أنّ صحّة الإنسان النفسيّة وتطوُّره وفرصه في الحياة تتعلّق أيضًا بهُويّته التقاطعيّة (intersectionality)، أي بصفاته الديمجرافيّة -كالهُويّة الجندريّة، والجنسيّة، والقوميّة، والوضع الاقتصاديّ وغيرها- التي تتفاعل في ما بينها، لتخلق هذا الصفاتُ معًا قمعًا مضاعَفًا على الفرد.[91] على سبيل المثال، حين نتحدّث عن طالبة فلسطينيّة خضع مجتمعها لتجربة الاستعمار والاضطهاد طَوال عقود كثيرة، والداها عاطلان عن العمل، تعيش في حيّ فقير مهمَّش، وبوضع اجتماعيّ- اقتصاديّ دون المتوسّط، فإنّ تجربتها تكون مختلفة وربّما أكثر قسوة وتحدّيًا من تجربة طالب (ذكَر) فلسطينيّ، يعمل والداه في وظيفة مرموقة، ويحيا في حيّ جيّد، وبوضع اجتماعيّ- اقتصاديّ أعلى من المتوسّط. وهذا الاختلاف ليس بسبب فوارق ديمجرافيّة جليّة فقط، كما هو الحال في المحدِّدات الاجتماعيّة للصحّة، بل لأنّ هذه الصفات الديمجرافيّة التي يتّسم بها كلا الطالبَيْن تتفاعل على نحو مستقلّ ومتّصل مع منظومة القهر والعنف البنيويّ في المجتمع والسياسة فتُضاعِف العنفَ الممارَس على الفرد. في المثال الأوّل، إمكانيّة العنف والتهميش تجاه الطالبة قد تكون أكبر من تلك التي في المثال الثاني، وذلك بسبب دوائر العنف التاريخيّة تجاه معظم المؤشّرات الديمجرافيّة للطالبة مثل جنسها ووضعها الاجتماعيّ- الاقتصاديّ. لذا، لا يكفي أن تلاحظ المستشارة الفوارق الاجتماعيّة بين الطلبة، وإنّما تُوصَى بفَهْم كيفيّة تقاطع هُويّاتهم وخلفيّاتهم الديمجرافيّة مع منظومات استبداديّة تاريخيّة في المجتمع. تساعد هذه الرؤية المنظوميّة التقاطعيّة المستشارةَ على تفهُّم احتياجات الطلبة وتحدّياتهم وقدراتهم وفرصهم على نحوٍ أكثر شموليّة وعمقًا.

ومن ضمن تطوير الوعي والتفكير النقديَّيْن للمستشارة والرؤية الشموليّة للصحّة النفسيّة، من المهمّ وضع مصطلح النكبة في سياقه النفسيّ والاستعماريّ وفَهْم تأثيره الحاليّ على الطلبة. فوَفقًا لمعايير

88. Delgado, Richard; & Stefancic, Jean (Eds.). (2017). **Critical race theory: The cutting edge**. New York: New York University Press.

89. Neville, Helen A.; et al.. مرجع رقم 13.

90. Arar, Khalid. (2012). Israeli Education Policy since 1948 and the State of Arab Education in Israel. **Italian Journal of Sociology of Education**. Pp. 113- 145.

91. Morrill, Zenobia; & Comas-Díaz, Lillian. مرجع رقم 85.

الصحّة النفسيّة، تعكس أحداث النكبة صدمة جماعيّة مستمرّة وعابرة للأجيال،[92] ولا تزال تؤثّر كثيرًا على رفاهيَة الفلسطينيّين وظروفهم التعليميّة، والنفسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة حتّى يومنا هذا.[93] ووَفقًا لهذا، فإنّ الطلبة الفلسطينيّين ما زالوا يعيشون النكبة وأصداءها. لذا، يُوصَى أن تتأمّل المستشارة التربويّة النفسيّة في نتائج النكبة على واقع الطلبة، ويمكنها كذلك أن تناقش معهم مفهوم النكبة وتَبِعاتها على حياتهم وظروف نشأتهم وصحّتهم النفسيّة.

سادسًا، الانخراط في الحِوار والنقاشات الجماعيّة مع الطلبة.[94] لرفع وعي الطلبة أكثر إزاء الظروف المحيطة بهم، يمكن تكثيف العمل من خلال المجموعات والنقاشات ذات الطابع الاجتماعيّ-السياسيّ، سواء أكان ذلك في قالب الاستشارة التربويّة النفسيّة أَمْ في الدروس التعليميّة. تكمن قوّة الاستشارة الجماعيّة (group counselling) والنقاشات في خلق أجواء تتيح للطلبة أن يفهموا أنّ تجاربهم الذاتيّة هي ليست خاصّة بهم فقط، وإنّما قد يشاركهم فيها طلبة آخرون. كذلك إنّ الحِوار حول أمور حياتيّة مثل مستوى الفقر في المجتمع الفلسطينيّ، وفرص الالتحاق بالجامعات، ونسبة العنف والإجرام في المجتمع الفلسطينيّ، وغيرها من الأمور، يمكنها أن توسّع آفاقَ الطلبة وفَهْمَهم النقديّ لِما يدور حولهم بدلًا من التمركز حول مواضيع تعليميّة في المنهاج لا ترتبط بحياة الطلبة اليوميّة بشيء.[95] وحين تكون النقاشات الجماعيّة ذات طابع نفسيّ، فإنّه من شأنها أن تساعد الطلبة على تعميق فَهْم تجاربهم من خلال فَهْم علاقتها بالمجتمع، وكذلك تمكّن الطلبةَ من الاستماع إلى تجارب وآراء الآخرين والتعلُّم منهم.

سابعًا، الكلمة. يرى پاولو فريري[96] أنّ الكلمة وتسمية الأمور بمسمّياتها تُمكِّن الفرد من إعادة فَهْم العالم وعلاقته به وتغيير هذه العلاقة أيضًا. وفي سياق العمل الاستشاريّ، يمكن للمستشارة -من خلال النقاشات الجماعيّة مع الطلبة أو من خلال الجلسات الاستشاريّة الفرديّة- تدريبُ الطلبة على إيجاد الكلمة الأكثر مناسَبةً لوصف تجربتهم المعيشيّة والتفكير في دلالات هذه الكلمة وانعكاساتها على صحّتهم النفسيّة. فعلى سبيل المثال، حين يتمكّن طالب من أن يصف تجربته بكلمة مثل "استغلال"، أو "استعلاء"، أو "عنصريّة"، أو "إقصاء"، أو "إبادة جماعيّة"، أو "إفقار"، بدلًا من استخدام كلمات تجلد المضطهَد وتُحمِّله مسؤوليّة اضطهاده، عندها قد يتغيّر فَهْم الطالب لمحيطه وتتبدّل إمكانيّات التعامل والاستجابة للظروف المحيطة.

ثامنًا، الروحانيّات. تُعتبَر الروحانيّات والإيمان إحدى ركائز علم النفس التحرُّريّ؛ إذ إنّها تساعد على تقوية الفرد داخليًّا، وتدعم صلابته ومرونته النفسيّة وتمنحه الأمل في إحداث التغيير. ونظرًا لكون هذا الموضوع محلّ جدل بين الباحثين في الصحّة النفسيّة،[97] فقد وجب ضبط بعض المعاني والأفكار قبل شرح تأثير الروحانيّات والإيمان على الصحّة النفسيّة. تعكس الروحانيّات تجربةً إنسانيّة

92. Al-Krenawi, Alian. 29 مرجع رقم.

93. Al-Krenawi, Alian. (2019). "Attitudes, beliefs, and stigma toward mental health issues among Palestinian citizens in Israel". In: Haj-Yahia, Mohamed; Nakash, Ora; & Levav, Itshak (Eds.). **Mental Health and Palestinian Citizens in Israel**. Indiana: Indiana University Press. Pp. 165- 175.

94. Freire, Paulo. 4 مرجع رقم.

95. المرجع السابق.

96. المرجع السابق.

97. Taylor, Edward H.. (2023). The myth of spirituality. **Journal of Social Work**, 23 (6). Pp. 1005- 1021.

حسّيّة وداخليّة تَحْدث في الوعي الفرديّ أو الجماعيّ، وتُختبَر في علاقة الإنسان مع نفسه ومع أفراد مجتمعه، وربّما أيضًا مع كِيان أو فكرة تتجاوز الذات. وتحمل الروحانيّات قِيَمًا تتعلّق بمعاني الحياة وأهدافها والمُثُل العليا التي يجب تَبَنّيها.[98] ولا يُقصَد هنا بالضرورة الدينُ أو التديُّنُ؛ وذلك أنّ الدين يعني منظومة معتقَدات، وعادات، وطقوس، وفرائض يُتوقّع من الفرد ممارستها، في حين تمثّل الروحانيّات شعورًا داخليًّا ووعيًا، يختلف من فرد إلى آخر، إزاء العلاقة مع الذات والعلاقة مع المجتمع.[99] كذلك لا تعني الروحانيّات تقوية التعصّب أو التطرّف الدينيّ، وإنّما تعني إيمانَ الإنسان بفكرة وشعورَه بالانتماء إلى مجموعة ذات مبدأ مشترَك، والإحساس بالثقة والأمل أنّ بإمكانهم إحداث التغيير.

تكمن أهمّيّة الروحانيّات في علم النفس التحرُّريّ في كونها عاملًا مسهِمًا في تقوية روح الصمود وتكاتف الأفراد في ما بينهم؛ إذ إنّ ما تحاول فعله المؤسَّساتُ الاستعماريّة هو زعزعةُ استقرار الإنسان الداخليّ واستئصالُه من جذوره، وإشعاره بالهشاشة واللا يقين وفقدان الأمل، كي تَسْهل السيطرة عليه.[100] لذا، لا يقتصر استخدام الروحانيّات على المنتمين إلى ديانات معيَّنة، وإنّما يمكن كذلك أن يلائم هذا الاستخدامُ اللا دينيّين أيضًا؛ وذلك أنّ فكرة الروحانيّات هي فكرة إيجاد هدف ومعنى للحياة ومنح الأمل للفرد كما ذكرنا سالفًا،[101] وفي التمسّك بالأمل صمود وقوّة-كما يرى فريري في كتابه "تعليم الأمل".[102]

وفي السياق النفسيّ، ثمّة كثير من الأبحاث التي دَرَست العلاقةَ بين الروحانيّات والصحّة النفسيّة. على سبيل المثال، يُظهِر مسح للأدبيّات في الصحّة النفسيّة والروحانيّات أجراه كاو وزملاؤه عام 2020 أنّ 61% من نتائج هذه الأبحاث أظهرت علاقة عكسيّة بين الروحانيّات والاكتئاب، كما وُجِدت هذه النتيجة ذاتها في 75% من الأبحاث التي جرت حول الانتحار، وفي 86% من الأبحاث حول إدمان الكحول، وفي 49% من الأبحاث حول القلق.[103] ومن الجدير ذكره أنّ بعض المهتمّين بهذا الموضوع أيضًا لا يفصلون الروحانيّات تمامًا عن الدين، وإنّما يستخدمون الدين بِبُعده الفلسفيّ والنقديّ من أجل تدعيم الصحّة النفسيّة للفرد والتحرُّر الجماعيّ. فعلى سبيل المثال، في هذا السياق الروحانيّ–الدينيّ، يشير مارتن بارو إلى أهمّيّة استخدام الجانب الأفقيّ من الرؤية الدينيّة الروحانيّة ونبذ جانبها العموديّ. في حين يعزّز الانتماءُ الدينيُّ العموديُّ العلاقاتِ الطبقيّةَ والهرميّةَ بين أفراد المجتمع (كالطاعة والجندريّة)، وهو ما قد يسفر عن قمع واضطهاد داخليّ، يركّز الجانبُ الأفقيّ على علاقات المساواة والتعاضد بين أفراد المجموعة، تلك العلاقات التي من شأنها أن تواجه قوًى استبداديّةً واستعماريّة.[104] وفي سياق مشابه، ترى الكاتبة والطبيبة النفسيّة الفلسطينيّة سماح جبر[105] أنّ

98. Cook, Christopher. C. H. (2004). Addiction and Spirituality. **Addiction**, 99 (5). Pp. 539– 551.

99. Kao, Larkin Elderon; Peteet, John R.; & Cook, Christopher C. H. (2020). Spirituality and mental health. **Journal for the Study of Spirituality**, 10 (1). Pp. 42- 54.

100. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

101. Peres, Julio. F.; et al.. (2007). Spirituality and resilience in trauma victims. **Journal of Religion and Health**, 46 (3). Pp. 343- 350.

102. Freire, Paulo. (1994). **Pedagogy of hope: Reliving pedagogy of the oppressed**. New York: Continuum. (Originally published in 1992).

103. Kao, Larkin Elderon; Peteet, John R.; & Cook, Christopher C. H. 99 مرجع رقم.

104. Martín-Baró, Ignacio. 3 مرجع رقم.

105. جبر، سماح. مرجع رقم 10.

مبادئ الدين الإسلاميّ تتلاءم كثيرًا مع مبادئ علم النفس التحرُّريّ؛ إذ يرفض الإسلام العبوديّة ويشجّع الناس على التمسُّك بكرامتهم وعدم الخضوع للمستبِدّ، ويحثّهم على الثبات والتصدّي للظلم والتحرُّر منه دونما خوف. يتجلّى الأمر ذاته في الديانة المسيحيّة ومبادئها الداعية إلى التحرُّر من أغلال اللا مساواة واللا-عدل الاجتماعيّ.[106]

وبما أنّ الروحانيّات والإيمان هي محلّ جدل كما ذكرتُ آنفًا، وتحتاج إلى توسُّع أكبر في الطرح، فإنّه من الجدير ذكره هنا أنّه عند استخدام هذه الأداة في الصحّة النفسيّة يوصَى أن تكون المستشارة على وعي وإدراك جيّدَيْن للرسائل التي تحملها في تدخُّلاتها المهنيّة، وأن تكون على دراية أنّه بالرغم من الجوانب النفسيّة الإيجابيّة الكائنة في الروحانيّات، ثمّة أيضًا جوانب سلبيّة مثل خلق الشعور بالذنب والخوف من العقاب، وبخاصّة حين ترتبط الروحانيّات بالضوابط الدينيّة[107] والجوانب العموديّة من الانتماء الدينيّ كما أشرتُ سابقًا. لذا، وَجَبَ دومًا الرجوع إلى التفكير النقديّ والاختيار الواعي لطُرُق استخدام الروحانيّات في دعم الطلبة.

من خلال فعّاليّات الحصانة النفسيّة والهُويّة الذاتيّة والجماعيّة في برامج الاستشارة التربويّة،[108] يمكن أن تقوم المستشارة التربويّة النفسيّة بإدارة نقاشات حول فكرة الأمل، وأهداف الحياة، والتمسُّك بفكرة يؤمن بها الطلبة، وأساليب مواجهة المعيقات والضغط النفسيّ، وعلاقة الفرد بنفسه وبمجتمعه، وقِيَم اجتماعيّة تسهم في خلق الانسجام والانتماء والتماسك والعطاء في المجتمع الفلسطينيّ. هذه التدخُّلات هي في حدّ ذاتها طرح لخطاب بديل ومحاولة تفكيك وإزالة للاستعمار النفسيّ والفكريّ الذي قد يجد طريقه إلى عقول ونفوس الطلبة على نحوِ ما سأتوسّع بشأنه في ما يلي.

تاسعًا، بناء برامج عمل بديلة، تنبثق من الثقافة العربيّة الفلسطينيّة واحتياجات المجتمع الفلسطينيّ كأقلّيّة أصلانيّة مقيمة في بلادها. كذلك يمكن للمستشارة أن تنتقي على نحوٍ واعٍ ونقديٍّ بعضَ التدخّلات الواردة في شيفي "مؤسَّسة الخدمات النفسيّة الاستشاريّة الإسرائيليّة"،[109] وتعيد بَلْوَرتها لتلائم احتياجات المجتمع العربيّ الفلسطينيّ بدلًا من الاعتماد على ترجمتها من العبريّة إلى العربيّة فقط. وأدعو المهنيّين والأكاديميّين إلى التعاون في بناء مثل هذه البرامج البديلة.

ثمّة بعض محاولات متفرّقة لإنتاج تدخُّلات علاجيّة للمجتمع الفلسطينيّ. فعلى سبيل المثال، طرَحَ أمجد موسى وزملاؤه[110] عام 2009 بعض الأفكار للاستشارة في المدارس بعد الحرب على غزّة، وسلّطوا الضوء في المقدّمة على العنف الممارَس على غزّة وتأثيره النفسيّ والصحّيّ على الفلسطينيّين العرب في إسرائيل، وتحدّثوا عن مكانة المجتمع العربيّ الفلسطينيّ في الدولة كأقلّيّة، مؤكّدين أنّ إحدى نتائج هذه الحرب هي الأذى النفسيّ والمعنويّ الذي يتعرّض له المواطنون الفلسطينيّون العرب "عند مشاهدة الدمار والموت لأقاربهم في غزّة"،[111] وكذلك طرحوا تحدّيات القرى غير المعترَف بها في إسرائيل خلال فترات الحرب وغياب البنى التحتيّة والأمان لهم. لذا، إنّ

106. Martín-Baró, Ignacio. مرجع رقم 3.

107. Kao, Larkin Elderon; Peteet, John R.; & Cook, Christopher C. H. مرجع رقم 99.

108. شيفي (خدمات استشاريّة نفسيّة).

109. المرجع السابق.

110. موسى، أمجد؛ وآخرون. (2009). العمل مع مجموعات متباينة بعد الحرب. وزارة التربية والتعليم- قسم الخدمات النفسيّة الاستشاريّة.

111. المرجع السابق. ص. 2.

ربط الاستشارة بالسياسة والحديث عن الحرب وتأثيرها على الصحة النفسيّة لدى الفلسطينيّين مواطني إسرائيل مهمّ وممكن، مع الوعي بوجود تقييدات من وزارة التربية والتعليم ومحاولات تخويف وإسكات للطواقم التربويّة. ومن المهمّ إذًا تطوير مثل هذه التدخُّلات العلاجيّة عن طريق العمل الجماعيّ للمهنيّين والباحثين الفلسطينيّين العرب.

عاشرًا، المرافعة الذاتيّة والجماعيّة. من المهمّ تعليم الطالب مهارات الدفاع عن الذات وعن الجماعة، وأن يكون الفرد على قدرة من الحزم لوقف وردع القاهر.[112] يتضمّن برنامج الاستشارة التربويّة النفسيّة في شيفي "مؤسَّسة الخدمات النفسيّة الاستشاريّة الإسرائيليّة" فعّاليّات حول المرافعة الذاتيّة. ولذا، يمكن للمستشارة أن تتناول بعض هذه الفعّاليّات وتُلائمها للسياق الفلسطينيّ، لتدرّب الطلبة على طرق التعبير عن ذواتهم واحتياجاتهم وأساليب الحِوار المختلفة.

أحد عشر، التشبيك والعمل مع كوادر ومؤسَّسات اجتماعيّة أخرى خارج الإطار التربويّ والنفسيّ. ونظرًا لقيمة العمل التكاتفيّ والتحرُّر الجماعيّ وأهمّيّة العمل من داخل تركيبة المجتمع ومؤسَّساته، يوصَى بأن تأخذ المستشارة التربويّة عملها إلى خارج أسوار المدرسة؛ إذ في إمكانها التعاون مع مراكز ومؤسَّسات مجتمعيّة أخرى من شأنها أن تساعد في رفع الأذى عن الطلبة وذويهم. فعلى سبيل المثال، لجان الصلح في البلدات العربيّة، والمراكز الثقافيّة، والمراكز الجماهيريّة، ومكاتب العمل الاجتماعيّ، ولجان الزكاة، والمؤسَّسات الأهليّة وجمعيّات أخرى تنبع من ثقافة المجتمع العربيّ، تلك كلّها يمكن التعاون معها لتغذية مراجع المستشارة لمساندة الطلبة ودفع العنف البنيويّ عنهم. وبطبيعة الحال، يوصى أن تُختار هذه المؤسَّسات دائمًا بعناية وبشكل نقديّ وواعٍ، ما دامت الأهداف تتوافق مع الملاءَمة الثقافيّة في العمل الاستشاريّ والمنظور التحرُّريّ الجماعيّ للمجتمع.

وأخيرًا، رفع روح التضامن والتآمر مع الآخر "co-conspiracy".[113] نظرًا لأهمّيّة العمل الجماعيّ، التضامن مع الآخرين والتآمر (بالمعنى الإيجابيّ) معهم هو أمر مهمّ لصدّ الاستبداد ومواجهته. قد تبدو كلمة "تآمر" سلبيّة. ذاك صحيح؛ لكن برؤية نقديّة هي في حقيقة الأمر مَهمّة لدى الفئات المضطهَدة تاريخيًّا، وهي تشير إلى الاتّفاق والتفكير والتخطيط المشترَك بين أفراد المجموعة لصدّ المستبِدّ.[114] كذلك من المهمّ تعليم الطلبة أنّ التضامن مع الآخَر لا يعني بالضرورة أن تكون لدينا مصالح مشترَكة معه، بل يعني زيادة القوّة الجماعيّة وأن أقف إلى جانب المستضعَف، أيًّا كان، وإن لم تكن لديّ مصلحة خاصّة معه. إضافة إلى هذا، من شأن تعليم الطلبة أهمّيّة الجماعة (بدل الفردانيّة) والتضامن مع الآخر أن يخلق تماسكًا اجتماعيًّا بين الطلبة أنفسهم، وبالتالي من شأنه يخلق قوّة في أوساط الشبيبة المضطهَدة. وفي هذا الصدد، يرى فريري[115] في كتابه "تعليم الأمل" أنّ الجميع لديهم القوّة، بمن فيهم المضطهَدون. وحين تتكاتف القوى لدى المقهورين، سيكون من الصعب كسرهم، وستتوافر لديهم فرص وإمكانيّات أكبر لوقف الاستبداد وصدّه.[116]

112. Moane, Geraldine. (2003). Bridging the personal and the political: Practices for a liberation psychology. **American Journal of Community Psychology**, 31. Pp. 91- 101.

113. المرجع السابق.

114. المرجع السابق.

115. Freire, Paulo. مرجع رقم 102.

116. Martín-Baró, Ignacio. مرجع رقم 3.

تلخيص وتوصيات

تناولت هذه المقالة دَوْر العمل الاستشاريّ في المدارس الفلسطينيّة في إسرائيل من منظور علم النفس التحرُّريّ، وقد تكون هي المقالة الأولى التي تتناول هذا الموضوع، سواء أكان في العالم أَمْ في فلسطين المحتلّة؛ وذلك لندرة الكتابات المتوافرة حول الاستشارة وعلم النفس التحرُّريّ معًا. تكمن أهمّيّة هذه المقالة أيضًا في تسليطها الضوء على الجهاز التربويّ، وهو الإطار الذي تنتمي إليه الاستشارة التربويّة النفسيّة؛ إذ يُعَدّ جهازُ التربية والتعليم الإسرائيليُّ ذراعًا للسلطة ومؤسّسةً مؤدلَجةً تهدف إلى إخراس المهنيّين، وتشويه هُويّة الطلبة الفلسطينيّين واقتلاعهم من تراثهم. لذا، قدّمتُ رؤية نقديّة تحرُّريّة للعمل الاستشاريّ تعيد بناء هُويّة هذه المهنة ودَوْرها الريادي والقياديّ في تحرير الطلبة من آثار الاستعمار.

صحيح أنّ الكثير من الأفكار النظريّة والعمليّة المطروحة في المقالة تناسب المهنيّين/ات في العمل الاستشاريّ، إلّا أنّه يمكن تطبيقها أيضًا في مجالات أخرى في الصحّة النفسيّة، كالعمل الاجتماعيّ على سبيل المثال، حيث يمكن للمهنيّين/ات في سياقات مختلفة أن يُبَلْوِروا هُويّة مهنيّة ذات رؤية منظوميّة وشموليّة لِما يحيط بالفرد، وأن يلائموا أدوات العمل المدْرَجة في هذا المقال لطبيعة عملهم ولمتلقّي الخدمة.

ونظرًا لأهمّيّة علم النفس التحرُّريّ في المجتمع الفلسطينيّ، خاصّة في ظلّ تداعيات النكبة واستمرار الإبادة الجماعيّة في غزّة وسياسات المحو والاقتلاع في الضفّة، يجب تكثيف الكتابات النظريّة وصياغة أدوات عمليّة تحرُّريّة للمهنيّين/ات في مجالات الصحّة النفسيّة كافّة. يوفّر السياق الفلسطينيّ بيئة خَصْبة بالمعلومات والتجارب حول آليّات الاستعمار ومواجهته، والصمود نفسيًّا ومعنويًّا أمامه. كذلك يوصَى بإجراء أبحاث علميّة بشأن عمل المهنيّين/ات الفلسطينيّين/ات في ظلّ هذا السياق وكيفيّة تبنّيهم لمنظور علم النفس التحرُّريّ أو تخلّيهم عنه. ويُوصَى المهنيّون في الصحّة النفسيّة بتطوير برامج تدخُّل واضحة تتبنّى منهج علم النفس التحرُّريّ، مثل فعّاليّات الوعي النقديّ والهُويّة الجماعيّة والتاريخيّة، وطرحها ومشاركتها مع مهنيّين آخرين من المجتمع الفلسطينيّ، وذلك لمساندة طالبي العلاج في التحرُّر نفسيًّا ومعنويًّا وجسديًّا وروحيًّا من رواسب العنف والاضطهاد.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية